النساء واثاث البيت من اجل شراء قطعة سلاح ، ظاهرة عامة في القرى وفي الاحياء الفقيرة من المدن . كان الشعب قد لمس بتجربته المباشرة ان عدوه الصهيوني قد تدجج بالسلاح ، وانتظم في سرايا وكتائب ، وواظب على التدرب العسكري بلا كلل ، الامر الذي دفع مسألة تسليح الشعب الفلسطيني ، الى المقدمة ، كمطلب جماهيري فلسطيني وعربي . وما كان من مجلس الجامعة العربية المنعقد في عاليه ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، امام هذا الضغط ، الا ان يوافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين تحت السلاح ، كما هو الحال بالنسبة للعدو الصهيوني ، ومساعدتهم على تحصين مدنهم وقراهم . كما قرر الا تدخل الجيوش العربية الى فلسطين ، والاكتفاء بالمرابطة على حدود فلسطين . وبهذا اتخذت اللجنة العسكرية العربية دمشق مقرا لها، وخصصت معسكر قطنة السوري لتدريب الفلسطينيين . وفعلا بدأ التدريب بألف متطوع فلسطيني . ولكن سرعان ما تدخلت بريطانيا وبعثت برسالة الى الامانة العامة للجامعة اعتبرت فيها تسليح الفلسطينيين وتدريبهم « عملا غير ودي » ، وذكرت انها ما زالت منتدبة على فلسطين . وفورا اسرعت الجامعة لوقف تدريب الفلسطينيين في معسكر قطنة ونزعت سلاحهم . وراحت تكوم الاسلحة في المخازن في وقت كان الشعب الفلسطيني يتحرق فيه للحصول على قطعة سلاح .

على ان جامعة الدول العربية خوفا من نقمة الجماهير العربية على حجب السلاح عن الفلسطينيين قامت بتشكيل جيش الانقاذ على ان تكون اغلبيته من متطوعين عرب ، وتحت اشرافها مباشرة ، وتحت قيادة ضباط اعيروا له من الجيوش العربية . ودخل جيش الانقاذ الى فلسطين ، وهو يحمل تعهدا لبريطانيا ، كما ورد ، ضمنا ، في تصريح وزير المستعمرات البريطاني ، في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، على عدم القتال قبل انتهاء الانتداب البريطاني . وفعلا نفذ جيش الانقاذ هذا التعهد . فلم يخض قتالا طوال الفترة حتى نهاية الانتداب ، رغم رؤيته ، بالعين المجردة ، تدهور وضع المناضلين الفلسطينيين ، وسقوط بعض المواقع بيد القوات الصهيونية . وعندما انتهى الانتداب ودخلت الجيوش العربية انسحب جيش الانقاذ الى شمال فلسطين حيث دخل معارك جزئية محدودة ولكنه عاد فانسحب من الشمال الفلسطيني ، بلا قتال ، وفي ظروف « غامضة » — اشتهرت تحت عبارة « اوامر عليا » — وكان ذلك في اثناء سريان مفعول الهدنة الثانية ١٩٤٨ ، تاركا الارض للعدو الصهيوني .

كان الشعب الفلسطيني ، بعد صدور قرار التقسيم ، قد ألح في طلب السلاح الذي حجبته عنه الدول العربية ، ورغم ذلك اعلن الثورة في ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، فشكلت الهيئة العربية العليا جيش الجهاد المقدس . وبدأ هذا الجيش الذي انخرط فيه الاف المتطوعين من ابناء الشعب الفلسطيني يدافع عن القرى والاحياء والمدن العربية التي كانت تتعرض باستمرار لعمليات ارهابية وتدميرية وتوسعية من المنظمات الارهابية الصهيونية وجيش الهاغاناه . (من ١٩٤٧/١٢/١٣ الى ١٩٤٨/٢/١٠ القيت سلسلة من القنابل والبراميل المتفجرة على مقاه واسواق وشوارع عامة عربية اسفرت عن استشهاد ١٠٥ اشخاص وجرح ٢٩٢ شخصا . ومن ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ الى ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٨ هوجمت شاحنات ركاب عربية ونسفت قطارات ركاب اسفرت عن ١٠٩ شهداء و ١٩٥ جريحا . وما بين ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ الى ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نسفت بيوت وفنادق عربية اسفرت عن ١٦٧ شهيدا و ٩٧ جريحا) . كما تعرضت ثماني عشرة قرية فلسطينية لهجمات شرسة ومجازر ما بين ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ و ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، بلغت ضحاياها ٤٨٩ شهيدا و ١٩٦ جريحا . ولكن رغم كل هذه الغارات استطاع جيش الجهاد المقدس بالجماهير الفلسطينية ان يدافع عن المناطق العربية ، ويمنع توسع العدو الصهيوني ،